(٣)
تفكيك الاستراتيجيات المتكيفة

obeikan.com

التفريق بين الحاضنة والمنتجة

من الواضح أن العالم اتخذ قرارًا بالقضاء على داعش مهما كلفهم الثمن، وجاءت تفجيرات باريس وبروكسل لتدفع بهذا الاتجاه، إلا أن القضاء على التنظيم عسكرياً لن ينهى المشكلة، وداعش سيبقى لأن شروط وأسباب ظهوره قائمة، بل وتزداد.

داعش هو تنظيم غير تقليدي، ليس مثل تنظيمات التكفير المعهودة والمعروفة، فهو يتشكل من عدة طبقات، الأولى هم المقاتلون العراقيون بعشائرهم وعائلاتهم، والثانية من السوريين وعائلاتهم وعشائرهم، والطبقة الثالثة هم الأجانب القادمون من الخارج وعائلاتهم، سواء من أوروبا أو العالم العربى أو آسيا إلى غيرها من البلدان والقارات الأخرى، أما الطبقة الأخيرة فهم عشرات الآلاف من النساء والأطفال والمراهقين الذين تعلموا فى مدارس ومعسكرات وجامعات التنظيم، ومنذ سنوات يلقنهم عقيدته وأفكاره وأطروحاته.

أحد قواد الحشد فى حديث خاص معى عبر الفيس بوك، قال إننا نتخلص من العراقيين الدواعش بالقتل بمجرد الوصول إليهم، أما السعوديون فنقوم بسجنهم، وأما باقى الجنسيات فنحن نرحلها لبلادها.

لقد تخيل الرجل أنهم بهذه الطريقة سيقضون على داعش، هل من المعقول أنهم سيقتلون ويسجنون التنظيم بالكامل، وماذا بعد ذلك؟ وماذا عن العائدين سراً أو جهراً إلى بلادهم؟ وماذا عن الجيل الجديد من المراهقين والأطفال؟!

إن غالبية أتباع داعش فى الآونة الأخيرة من جيل الشباب، وحتى غير المنضمين، أعداد غفيرة منهم هى قريبة الآن بحكم الواقع من أفكار التنظيم، وبينهم أعداد لافتة من حملة الشهادات الجامعية.

إن تحدثنا بالتفصيل، سنتحدث عن الآلاف من المسجونين والناشطين والفاعلين فى كل الدول، كلهم يتبنون هذا الفكر ومقتنعون به، واتجاههم ينمو فى مناطق متعددة، ومنها مصر، التى وصلت داعش إلى سجونها.

مصر تحديدًا لا يوجد بها بيئة حاضنة للتنظيم مثل العراق وسوريا وليبيا، لكن يوجد بها بيئة منتجة لهذا التيار على المجمل، هذه البيئة تحتاج إلى بحث مفصل، عن كيفية إنتاجها لداعشي يومياً، وفشلها فى مواجهة أفكاره، حتى أنه من الممكن أن تتحول بعض مناطق بمصر من منتجة إلى بيئة حاضنة، تتضاعف بها أعداد التكفيريين والجهاديين.

رغم أن أفكار الموت غير قابلة للحياة، إلا أن داعش نجح فى خلق جيل من الأطفال هم إرهابيو المستقبل، سيكونون أكثر عنفا وفتكا، كما لا يزال يحمل جينات العنف والدموية والموت التى أحياناً ما تكون جذابة لبعض المراهقين.

ما بعد داعش هو الأمر الذى لا بد وأن يشغل بال المهتمين بالظاهرة، ولربما قد يكون ما بعده أكثر سوءًا من داعش نفسه، طالما أن المنطقة تدعشنت بالكامل، طائفياً وعرقياً، وثقافياً، وسياسياً أيضاً، لكن بألوان وأشكال متعددة ومتنوعة، وسيستمر التنظيم الراديكالى المتطرف لأنه ابن شرعى للسياق العام الحالى فى كل المنطقة.

توسيع رقعة الحرب

يحاول داعش توسيع رقعة الحرب عبر تفجيرات انتحارية، على سبيل المثال، تلك التى وقعت على حدود لبنان، ونفذها ٥ انتحاريين، وأسفرت عن مقتل ٥ أشخاص وإصابة آخرين، فى وقت تبنى نفس التنظيم، بشكل رسمى الهجوم على مركز حدودى أردني، كان قد أسفر عن مقتل ٦ جنود، وإصابة ١٤ آخرين فى هجوم بسيارة مفخخة بالقرب من مخيم للاجئين فى منطقة الركبان قرب الحدود مع سوريا.

جاء ما سبق فى سياق إعلان العراق، عن تحرير كامل لمدينة الفلوجة، وانتهاء العمليات العسكرية فى المدينة بالكامل من قبل القوات العراقية.

على الفور يشير الهجوم على الحدود الأردنية اللبنانية، أن ما يجرى استراتيجية داعش الجديدة، للهروب من القتال الذى فى المركز، وتوسيع رقعة الحرب، وفتح جبهات جديدة.

لذا فإننى لا أقبل طرح ما يسمى بـ(ما بعد داعش)، لأنه مصطلح وتعريف خاطئ لحالة (تنظيم الدولة)، وهو إنما يعبر فقط عن أمنيات شخصية لزوال التنظيم، الذى توجد مسببات وأسباب بقائه لفترة طويلة مقبلة.

يمكننا فقط أن نطلق على هذه المرحلة (ما بعد الفلوجة)، فالتنظيم ما قبل تحرير المدينة غير ما بعدها، وقد يفقد ما بعدها من مدن، إلا أنه سيبقى فى طور وشكل جديد، فقد كان موجوداً من قبل منذ ٢٠٠٣، وفقد الأرض عام ٢٠٠٦، وتم قتل زعيمه أبو عمر البغدادى، وحصل على الأرض مرة أخرى، وقد يفقدها وفق العدناني، إلا أنه سيبقى، ويتحول من فوق السطح إلى تحت

الأرض من جديد، أو يتشظى، كخلايا ومجموعات وشظايا، ويتكور ويتخلق بأشكال جديدة.

وفق بعض الإحصائيات فإن الأجانب بداعش حوالى ١٢ ألف مقاتل، والتنظيم عبارة عن طبقات: عراقيين، وعرب، وأجانب، وجيل جديد من الأطفال تم تنشئته على أيديولوجية التنظيم، فأين سيذهب هؤلاء؟ هل سيتم التخلص منهم جميعاً مرة واحدة؟ هل سيسمح الغرب بعودتهم إلى أوربا وأمريكا؟ كيف سيتم احتواؤهم؟!

على العموم، حكاية (ما بعد) هذه انتشرت بشكل كبير، وبدأ بها آصف بيات، وستيفان لا روا، حين تحدثا عن ما بعد الإسلاموية، وما بعد الإسلام السياسي، والآن انتشر مصطلح ما بعد داعش.

ما بعد الإسلام السياسي، هو انتهاء نظرية أن الإسلاموية تتمثل فى بناء مجتمع أيديولوجى تتحقق فيه مُثُل الإسلام المتصورة، وأن السيطرة على الدولة هى الطريق الرئيسى لتحقيق هذه الغاية، وانتهاء هذا التوجه، ومنها نهاية مرحلة الإسلام المقاتل، وبداية مرحلة جديدة اتجه فيها الإسلامويون إلى تبنى الانتخابات بديلاً عن الرصاص، وهذا من المؤكد لم يحصل مطلقًا.

طبعاً يتبين أن ما بعد الإسلاموية ليست صحيحة بالمرة، لأن الإسلام المقاتل فى مرحلة صعود وليس هبوط، وجاءت تحولات النهضة، والتحولات التى تتحدث عن فصل الدينى عن السياسى لتصب فى مصلحة داعش والقاعدة.

لماذا؟ لأن الجهاديين المسلحين، حين يتحول الإخوان على العموم، ومنهم النهضة، يثبت لديهم هم ومناصروهم، أنهم هم الأقرب للحق، وأنهم الوحيدون الذين يجاهدون، ومن ثم لا يجد جيل الشباب منفذًا لحمل السلاح إلا من خلالهم، وأعتقد أنه فى الوقت الذى تتحول فيه النهضة، يتوغل فى تونس تيار أشد تطرفاً من داعش.

إذا كان بإمكاننا أن نطلق على هذه المرحلة (ما بعد الفلوجة)، فإننا فى تعبير أدق، يمكننا أن نطلق على الإسلام السياسى (ما بعد الإخوان) لأننا فى الحقيقة الآن نتجه لما بعد الإخوان بالفعل، أى انتهاء الإخوان القديمة، والاتجاه لتشكيل إخوان جديدة، ولاحظوا ما يجرى بين إخوان الأردن، وتطورات الجماعة هناك، والإخوان المسلمون بالعراق، وكذلك إخوان سوريا، ولاحظوا إخوان المغرب العربى بالكامل، لتجدوا جماعة تتكور وتتحور وتتحول لتصبح جماعة هى بعينها لكن غير الإخوان القديمة تماماً.

داعش يؤِّمن مركز التنظيم بالهجوم على الحدود، وما بعد التنظيم ليست واقعية بالمرة، وإيجاد دور للمؤسسة الدينية الأزهرية شامل، أو للطرق الصوفية كبديل، هو الأفضل فى عصر ما بعد الإخوان، لأننا لو لم نوجد بديلاً دينياً شاملاً يحتوى الشباب، فإنه لن يجد إلا الإسلام المقاتل.

openkan.com

اختراق الداخل بالفكر

لا بد أن ندرك أن داعش هزيمته من داخله، لأنه يحمل مشكلات، بعضها يتعلق بمنهجه الذى لم يحسم إلى الآن بوضوح قضية حرمة دماء أبناء الأمة، والأبرياء من المدنيين والمسالمين.

ما زال داعش وسيزال يؤمن بالتمترس، وقطع الرقاب، والتفجيرات العشوائية، وعمليات الاغتيال.

ينسف داعش فكرة الوطنية، ولا يضع فى أولوياته مطلقاً التحرر الوطني، سواء القدس أو غيرها، وربما كان هذا أحد أهم الفروق بينه وبين الجهاد الإسلامى فى فلسطين، وحزب الله فى لبنان.

داعش لا يشغله كثيرًا الدم المسلم، حتى لو من الفصائل القريبة منه فكرياً، أو المنشقة عنه مثل النصرة، بل وأحياناً يرفع سلاحه إلى شركائه فى المعركة، كما يفعل كثيراً فى سوريا.

يحمل داعش جينات الهزيمة من خلال خطابه الذى يبدو فى كثير من تفصيلاته خارج التاريخ، واسمعوا إلى متحدثه العدناني، الذى يتحدث كثيراً عن المواجهة مع الروافض، والفرس، والروم، والصليبية العالمية.

يعانى داعش من مشكلة بنيوية ضخمة وكبيرة، تتمثل فى أن الرافد الرئيسى الذى يعتمد عليه، هو الرافد السلفى الوهابي، وهو رافد به مشكلات كبيرة جداً تتعلق بمنهجه وخطابه، مما أثر عليه كثيراً وجعله يعيش مأزقاً فى التجنيد، أى أن العناصر التى تنضم إليه، هى من ذات التشكيلة السلفية الوهابية.

نجح داعش فى التحرر قليلاً من المال الوهابي، والتمويل المتدفق من الجزيرة العربية، إلا أنه لم يتخلص من العقل الوهابى السلفي، لذلك هو أحياناً يكون فى خطابه خارج سياق الواقع، غير قادر على إنتاج خطاب سياسى وفكرى مرن يقضى على التنظيم.

obeikan.com

وقف العفن

بينما نحن فى مصر نتحدث عن انهيار التنظيم بسيناء، وتتحفنا البيانات الإعلامية كل يوم بمقتل ما لا يقل عن ١٠ من قيادات التنظيم، نفاجأ بهجوم لخلية للتنظيم.

ماذا يجرى؟! هل داعش أسطورة؟ هل أصبح القضاء عليه مستحيلاً؟ هل بالفعل هم جادون فى تحرير الموصل، ثم الفلوجة، والرقة؟

قال المحلل السياسى جوشوا رامو، بالموقع الإخبارى لقناة (CNN)، إن «تنظيم الدولة الإسلامية فى العراق والشام أو ما يُعرف بـ«داعش»، فهم معنى ما وصفه بـ«الحاسة السابعة»، واستخدمها فى حملاته، وبالنظر إلى داعش قبل عامين، تمكنوا من فهم أن قطع رؤوس ١٢ شخصًا، وتسجيل ذلك بمقطع فيديو، سيمنحهم قوة فيروسية فى عالم التواصل الإلكتروني، وهو الأمر الذى يصعب إلحاق الهزيمة به حتى عبر الأسطول السادس الأميركي».

هل أفراد داعش يحاربون العالم بالحاسة السابعة؟!!!

صحيفة «الإندبندنت» البريطانية، رأت أن داعش لن ينهزم مطلقاً، وأن معركة «تأهيل» العراقيين جميعاً بعد «داعش»، فى حال انتهى التنظيم، أهم من المعركة العسكرية، وقالت: التنظيم الذى تمّ طرده من مدينة تدمر الأثرية، وريف حمص الشرقى قبل أسابيع، وأقام الروس احتفالاً موسيقياً فى «المدينة المحرّرة»، عاد اليوم ليحقق انتصارات ويحاصر المدينة نفسها!.

وبعد أن ضرب التنظيم قلب بغداد بعشرات العمليات الانتحارية، ودخل إلى مستشفى دير الزور وقتل عشرات من جنود النظام فيه ذبحاً، ولم يخسر سوى

٦ من مقاتليه، ثم دخل فى معركة مع تركيا، أعلن البنتاجون أنّ كلفة الحرب على «داعش» وصلت إلى قرابة ٧ مليارات دولار أميركي، فيما كلّفت العراق عشرات المليارات.

هل من المعقول ألا ينهزم التنظيم؟!!

تعالوا نطرح هذه الأسئلة المنطقية: هل نزلت داعش من السماء كما هى الآن؟ الجواب المنطقى لا.. فمن السبب فى وجودها؟

هل تسير داعش بدون أكل وشرب وسلاح، أى بدون مال؟ الجواب المنطقى لا.. فمن يعطيها المال إذن؟

هل تجيّش داعش شبابها ونساءها فقط بالمال؟ الجواب المنطقى لا. داعش تجيّش أعضاءها بعد المال بعقيدة تسمّيها إسلامية، ومنابعها الفكرية وحواضنها معروفة.. فما هى هذه الحواضن، والأفكار، والثقافات؟

هل هناك ردود على تلك الأفكار الإسلاموية؟ وهل صدرت ممن يعرفون بعلمائنا كتب، بل كتاب واحد للرد على شرعيى التنظيم مثل البحرينى تركى البنعلى، أو المصرى شاكر نعم الله؟ من المؤكد لا.. فماذا يفعل علماؤنا ومثقفونا، ومؤسساتنا التى تعرف نفسها بالدينية؟.

تعالوا لنلخص تفسيراتنا وأجوبتنا لداعش.

بعضنا يقول إن داعش تعمل لصالح إيران، وأنها تستخدمها لتدمير الإسلام السنى، ومشروعها الفارسي، وبعضنا الآخر يقول إن السعودية تستخدمها لتدمير الإسلام الشيعي، وتدمير النظام العراقى والسوري، وآخرون يقولون إن الغرب هو من صنعها بسجن بوكا، لتدمير المقاومة، وتقسيم المنطقة، بل بعضهم قال إن البغدادى يهودي، وإسرائيل هى من صنعت التنظيم وتنفق عليه، والدليل أنه لم يواجهها مطلقاً!!!.

بحياء يتحدث البعض عن المصالح المتضاربة بين الدول، والسلطوية، والديكتاتورية، والسجون، وأن داعش منتج للصراعات الإقليمية الطائفية بالمنطقة، والتهميش، وفقدان الهوية، والصراع المتوحش بالعراق وسوريا، والعفن السياسي، والانهيار الثقافى والفنى.

طالما لا نجد أجوبة لتلك الأسئلة ولا تفسيرات فداعش أسطورة نعم وبجد، لكننا ساهمنا فى خلقها، وتكبيرها، وتضخيم حجمها، وهى نتاج لما نعيشه من عفن على مستوى الأفكار، والفساد المستشرى فى كل أروقة حياتنا.

لا تحدثونا عن معركة الموصل، أو الرقة، قبل أن تحدثوننا عن الحرية، والديمقراطية، والتربية، والثقافة، والخطاب الدينى، وإصلاح المؤسسات الثقافية والإعلامية والدينية، وإلا فصدقوننى داعش لن تنهزم.

obeikan.com

استخدام غير التقليدي

سأختار فقط من بين التنظيمات القتالية الجديدة جماعة بيت المقدس، التى منذ ٥ أعوام تحمل السلاح فى وجه النظام المصرى.

أول شيء غلط فى مواجهة هذا التنظيم، هو الكمائن، الكمائن تقليديًا ثابتة، رغم أن الأصح هو تحويلها إلى متحركة، ووضع كاميرات فى كل الأماكن والشوارع الحساسة، وفى أماكن الارتكازات، والأماكن المرجح الهجوم عليها، هل هذا صعب على دولة بحجم مصر؟ هل هناك صعوبة أن نقوم بتركيب كاميرات فى كل مكان محتمل الهجوم عليه، وغرف مراقبة، وإذا تم مهاجمة مكان، أى مكان، تتبع الكاميرات خط سير المهاجمين مركزيًا، لقوات تدخل سريع جاهزة طول اليوم، حتى يعلم المسلح أن هجوماً معناه اشتباك مستمر مع الجيش والوقوع فى المصيدة.

لعل قائلا يقول: سيقومون بتخريب الكاميرات، وأعتقد أن هناك حلولاً إلكترونية وتكنولوجية كثيراً لهذه المسألة.

من المؤكد بالطبع أن هناك خلايا إرهابية نسوية الآن فى سيناء، وأنه أصبح لها دور كبير جداً فى كل العمليات الأخيرة، فهن من يزرعن العبوات الناسفة، ولو تخيلنا أننا أمام كمين الريسة بالعريش، فلماذا لا تقف شابة من الخدمات الطبية فى مستشفى العريش العسكرى على بعد خطوات من الكمين، وتقوم بتفتيش أى امرأة فى غرفة منفصلة بكل احترام وإنسانية، مع العلم أن تفتيش النساء بالشكل الاعتيادى الذى يحدث يثير البدو، وأهالى سيناء بشكل كبير، ويستغله الإرهابيون فى التجنيد وإثارة الشباب على الجيش.

يقول كل الضباط الذين خدموا فى سيناء، إن المشكلة أن الإرهابيين يعيشون فى عقارات وسط الأهالى، فهل من الصعوبة أن نقوم بعملية تسجيل إلكترونى للعقار، والسكان فى كل عقار بالعريش، وتفعيل قانون التسجيل، والتملك للحيازات المستقرة فى داخل كردون المدن بموجب بطاقة الرقم القومى، كإثبات، بما يساهم فى التضييق على تحركات المسلحين داخل كردون مدن شمال سيناء.

لماذا تغلق الشوارع فى رفح والعريش والشيخ زويد بهذا الشكل؟! لماذا لا تفتح الشوارع كلها فى قلب العريش للحياة الطبيعية، وإزاله الحواجز تمامًا، مع ربطها بالدائرة المغلقة لكاميرات المراقبة، التى تحدثنا عنها، وتزويدها فى تلك المنطقة بخاصية face recognition التى استخدموها فى الأرجنتين، وقللت معدل الجريمة بنسبة ٤٠٪، وهناك شركة NEC اليابانية لديها نسخة متطورة من هذه البرامج، التى ثمنها أقل بكثير جداً من ثمن ٥ مدرعات تم حرقهم فى العمليات المسلحة.

أين منظمات المجتمع المدني؟ وأين الفنانون والممثلون الذين تم اختيارهم سفراء للنوايا الحسنة؟ وأين الجمعيات الخيرية؟ بل وأين حتى السلفيون الذين يدعون أنهم يحرصون على فعل الخير؟ لماذا كل هؤلاء لا يعلنون عن حملة لرفع الضرر عن أهالى سيناء، وما جرى لهم حتى الآن، بشكل منهجى، يشترك فيها المجتمع المدنى من القاهرة وسيناء، مع الحكومة، والجيش، وبتنسيق مع موظفى المحافظة الذين لا يعملون.

بعد الحوار الإيجابى مع قادة حماس، وبعد إعلانهم عن دعمهم لمصر لمواجهة داعش، لماذا لا يتم فتح معبر رفح بشكل اعتيادى، والسماح بعبور الأفراد، والبضائع، مع تعديل فى ملحق اتفاقية المعابر، لاستخدام معبر رفح للبضائع، أو التنفيذ بشكل سيادى منفرد للدولة المصرية.

هل تم عمل تلقين كامل وشامل، والتأكيد على مبادئ العسكرية المصرية بحماية الإنسان، وعدم إطلاق النيران عشوائياً بشكل فيه إفراط كما حدث وأدى لمقتل طفلة، وتعليم العساكر أن مكافحة الإرهاب، والحفاظ على دم جنودنا من الحفاظ على دم أهلنا فى سيناء.

هل قام المحافظ بمحاسبة أى تجاوزات داخل المحليات، وداخل أقسام الشرطة، فيما يخص التعذيب، أو التربح، أو الفساد، بشفافية تامة، مهما كانت الحقيقة مرعبة، وخطيرة، ومرة؟ لأن الجهاز التنفيذى، يقوم بجرائم حقيقية من الفساد، ويستغل هذه الظروف، بما يساوى جريمة الخيانة العظمى؟.

أين التنمية؟!!!

سيناء كلها ٥٠٠ ألف نسمة بالوافدين، وشبرا يسكنها ٥ ملايين، وسيناء أكبر من كل محافظات الدلتا ٣ مرات، وأنفق فيها منذ عام ١٩٩٤، ١٨٠ مليار جنيه.. ورغم ذلك لا توجد مياه ولا كهرباء، ولا رفاهيات، فأين هذه المليارات؟!!

سيناء هى مناجم الذهب والفحم والمنجنيز، والكاولين، والسيلكا، والصودا، والملح، والرخام، والرمال البيضاء، واليورانيوم، والبترول.

سيناء هى المنطقة المصرية التى بها أغلى وأندر النباتات العطرية والطبية فى العالم، وفيها أنقى بحيرة فى البحر المتوسط بها أفضل سمك دنيس فى العالم بشهادة مطاعم أوروبا.

سيناء هى التى يمر منها أهم شريان ملاحة يربط تجارة العالم وهو قناة السويس، وبها ٦٧٠ كيلو سواحل بحرية، بها أفضل أماكن الغطس فى العالم، وأفضل أنواع الزيتون فى العالم، وأجود أنواع الفواكه، وثروة النخيل والتمر.

من المسؤول عن تنمية سيناء، إذا كانت التنمية هى حل لمشكلة الإرهاب،

بل ولمشاكل مصر كلها؟

هذه هى المشكلة، وحلولها سهلة وبسيطة، ولو تأخرنا قليلاً، فلا نلوم إلا أنفسنا، حينما تنتقل داعش من شمال سيناء إلى وسطها، ثم إلى جنوبها، وسيكون هذا بأيدينا، ونتيجة سكوتنا وتبريرنا.

obeikan.com

تفكيك الهيكل

اطلعت على الأوراق التى كتبها زعماء السلفية الجهادية بسيناء إلى الرئيس السابق المعزول مرسي، التى فسروا من خلالها أسباب ظهور العمليات المسلحة ضد الجيش والشرطة، والحقيقة أنهم حددوا عدداً من المشكلات أهمها الصراع الصوفى السلفى القديم بالمنطقة، والأنفاق، وعدم التعاون مع حماس لهدم الأنفاق، والتنسيق الأمني، وعدم الإفراج عن غير المدانين، أو إعادة محاكمتهم.

الأوراق التى كتبها قيادات السلفية الجهادية لمرسى كثيرة، والكلمات والتفسيرات متعددة ومتنوعة وهى فى غاية الخطورة والأهمية، وفى واحدة منها تحدثوا عن وجود (علنيون)، و(سريون) من الذين يعملون فى الجماعات الإسلاموية، أى رجل علنىّ، ظاهر للناس، معروف بشكله ومواصفاته وصوته، وصورته، وغير ذلك، ورجل سرى يعمل بالخفاء، ولكل منهما دوره المنوط به، لكن يجمعهما مهمة واحدة، وهى استمالة أولئك الذين يودون الإيمان بقضية مقدسة لتعوضهم عن الإيمان الذى فقدوه بأنفسهم، لأن أهم واجبات القائد طمس حقيقة الموت والقتل المرعبة، وتدريب الأفراد على العمل الجماعى بحيث يجعلهم قادرين على إنكار ذواتهم، والذوبان فى الآخرين، والارتباط بالمجموعة، والتضحية، والإنقاص من قيمة نفوسهم، والتخلى عن الكثير من خصوصياتهم، وعن آرائهم الشخصية، وفى كثير من الحالات عن ممتلكاتهم.

لعل ما سبق هو يتوافق مع ما قاله خبير تنظيم القاعدة، عبدالله العدم: الرجل السرى له مواصفات خاصّة، وأمنه الخاص، والرجل العلنى الذى يعمل فى العلن كل الناس تعرفه، وأيضًا له مواصفات خاصّة، وله أمنيات خاصّة، وكل منهما يخدم التنظيم.

فى سيناء ما يعرف بـ(الهيكل المتكيف) للتنظيمات، وهو ما يعرف بالتراتبية

التنظيمية، التى تتكيف مع كل الظروف والأحوال، وتتنقل ما بين العمل السري، والعلنى حسب الظروف والأحوال.

تحدثت السلفية الجهادية فى إحدى الوثائق، لتؤكد لمرسى أن أحد أهم الأسباب فى زيادة الأعداد المنضمة إلى تلك التنظيمات هى القضايا والأحكام التى صدرت ضدهم، مؤكدين أنها ٢٩٧ قضية، ما دفع المتهمين للهرب إلى جماعة بيت المقدس.

الفرضية الأساسية التى ظهرت فى الأوراق، أن المحبطين يشكلون غالبية الأعضاء الجدد للجماعات المسلحة الجديدة بسيناء، وأن السلفية الجهادية تختلف أيديولوجيًا مع تلك العناصر، وأن هذا الإحباط جعلهم ينقلون كل مشكلاتهم إلى النظام القائم، وجعلهم يتوقون للتخلص منه بأى ثمن، وأن قيادات هذه التنظيمات استغلت تلك الحالة، فصهرتهم فى كيانها الجديد، وحدث الالتقاء بين عقلية الفرد المحبط وبين عقلية قواد التنظيمات المسلحة.

الغريب أنه فى إحدى الورقات، طالب قواد السلفية الجهادى من مرسي، الإفراج عن ٢٥٢ فردًا متهمين فى ٢٩٧ قضية بعضهم صدرت ضده أحكام تجاوزت الـ١٢٥ عامًا، والمطلوب ليس إعادة محاكمتهم، بل استخراج «كف بحث» لماذا؟ حتى لا يهاجموا أقسام الشرطة والمصالح الحكومية.

هناك مشكلات حقيقية فى سيناء، أهمها الإحباط، والفراغ الذى لم تملؤه الدولة، فملأته جماعة بيت المقدس، وطبيعة البدوي، وعدم تغيير الرموز الأمنية العاملة فى المنطقة رغم أخطائها، وعدم اللعب على تغيير العقول، والبنى التحتية، وغيرها من المشكلات، ولذا لا يجب أن نتصور أنه رغم الانتصارات، قد تم حل المشكلة، فقد يتوالد متطرفون آخرون، لأنه لا يمكن إقناع المتطرف، ولكن يمكن تحويله إلى قضية أخرى، وقضية تنمية سيناء أهم القضايا التى يمكن أن تشغل عقل البدوى السيناوى.

الانتصار فى المعركة الرقمية

فى ٩ إبريل عام ٢٠١٥، نشر خبر عن القبض على «مسعود الصباغ السويركي»، لم يلق حظه من الرصد والتحليل، وهذا من حسن الحظ، لأن الجهاديين، وأعضاء الجماعات التكفيرية لم يلاحظوا ذلك، ولم يعرفوا أن هذا القيادى تم القبض عليه، وهذا ما أدى إلى التوصل من خلال حسابه إلى ١١ من قيادات داعش، القادمين من ليبيا لتنفيذ عمليات مسلحة.

السويركي، هو أحد أهم الناشطين الإلكترونيين المنتمين إلى «داعش» فى سيناء، وهو صاحب حساب «القرصان السيناوى» الذى استطاع حصد آلاف الصداقات والمتابعات على «فيسبوك» و«تويتر»، واخترق مواقع لجهات مصرية معروفة بدورها فى مكافحة الإرهاب، وشكل كتيبة إلكترونية من التكفيريين والمتعاطفين معهم، استطاع من خلالها القرصنة على حسابات من ادعى أنهم ضباط فى الداخلية المصرية.

«القرصان السيناوي» هو من كان يطلق فيديوهات تسمى «الصولات الإلكترونية»، التى كان يشرح فيها كيف تم اختراق المواقع والصفحات التابعة للحكومة، وكيف تعمل خليته فى «الجهاد الإلكترونى».

«مسعود السويركى» أو بالضبط «مسعود الصباغ» أسس ما يعرف بـ«المخابرات الإسلامية» فى عام ٢٠١٣، وكان يتنقل من الحدود إلى غزة، وتحديداً فى رفح الفلسطينية، حيث يشارك مع كتيبة من الهكرز، للهجوم على المواقع الحكومية، وتجنيد العناصر الجديدة.

إلى هنا الأمور كانت تدار بشكل يتكرر بطريقة شبه يومية فى مواجهة

الدولة، لكن الجيد هنا كيف أن الأجهزة السيادية المصرية، استطاعت الوصول بطريقة إلكترونية أيضاً للقرصان السويركى السيناوى، عن طريق حساب لوالده على الفيس بوك.

أجهزة الدولة المتخصصة فى مواجهة ما يسمى بالجهاد الإلكتروني، ألقت القبض على السيناوي، وأخفت الخبر بقدر المستطاع، وفى هذا التوقيت، انتحل أحد الضباط صفة القرصان السيناوى، وأدار الحساب بطريقة عالية من الاحتراف، ومذاكرة طريقة الإسلاميين الجهاديين فى التحدث والكتابة.

نجح الضابط فى اختراق حسابات أصدقاء السيناوى، وفى معرفة كل أصدقائه، حتى توصل خلال هذا الأسبوع إلى خلية من ١١ عضواً كانت قادمة من ليبيا، بعد تكليفها من قبل تنظيم داعش الأم فى الشام بالدخول عن طريق الحدود الغربية لتنفيذ عدد من العمليات المسلحة.

حدد الضابط الذى انتحل صفة السيناوى، عدداً من قادة الجماعات المصريين الموجودين بليبيا، وتم إلقاء القبض عليهم أثناء تسللهم من الحدود الغربية، ومنهم مروان عامر، ومصطفى سامونى، وعقبان المنية، وهم مصريون خطرون، كانوا ينشطون مع التنظيم فى درنة الليبية، إلا أنهم أرسلوا فى مهمة تنسيقية مع «بيت المقدس».

يعتبر «عقبان المنية» الذى كان من الـ١١ المقبوض عليهم، هو من أهم الشخصيات التى تم إلقاء القبض عليها، وهو ناشط خطر فى التجنيد عبر الإنترنت.

تنظيم «داعش» الأم فى الشام، أصدر عقب القبض على الخلية خلال هذا الأسبوع، نشرة عممها لأعضائه، ونشرتها مواقع جهادية، دعا فيها أعضائه، أن يتوخوا الحذر فى استخدام الإنترنت، ودعتهم لاستخدام تليجرام بدلاً من واتساب، مشيرة إلى أن عليهم ألا يقدموا أى بلاغات فى حساب أى أحد تم

إلغائه فى فيس بوك وتويتر، لئلا يكون الحساب تم اختراقه، وانتحله رجال الأمن.

بالطبع ما قامت به الأجهزة المصرية، هو نجاح ضخم، من بين نجاحات لا يعرفها الكثيرون، ولا يعرفها الإعلام المصرى، وهو نجاح يستحق الإشادة والتقدير، كما يعطينا الثقة فى أجهزتنا الأمنية، وفى رجال يعملون بصمت دون أن يعرفهم أحد.

الخلاصة أن الاستخدام لمواقع التواصل، تهدف منه «داعش» بالإضافة لإخافة أعدائها، التواصل مع أعضائها والوصول إلى مؤيدين خارج الشرق الأوسط، وهو الأمر الذى نجحت فيه وجندت مواطنين فى مصر وغيرها، لكى يكونوا إرهابيين فى تنظيمها الإرهابى.

لدى التنظيمات المسلحة خطة محكمة التصميم لها أهدافها وتسير حسب توقيت دقيق ورسائلها موجهة بشكل علمى لاستهداف فئات مختلفة ومحددة، فيما يسمى بالجهاد الإلكتروني، وقد أظهرت فيه قدرة فائقة على التكيف والتطور مع التحديات والمتغيرات المختلفة، وتمكنت من ابتكار وابتداع طرائق فريدة للحفاظ على وجودها وتطوير قدراتها الواقعية والافتراضية على الرغم من كثافة الملاحقة، ولا بد أن نسير بطرق حثيثة فى المعركة الرقمية.

ضد ظروف الإحباط

مرت مصر بـ٥موجات من العنف، أولها العنف الإخوانى فترة الأربعينات وحتى الستينات، وثانيها عنف فترة السبعينات، وثالثها الثمانينات، ورابعها التسعينات، وخامسها بعد ٢٥ يناير ٢٠١١، فى خلال عام منصرم، أن العمليات المسلحة بدت كالتالى: عمليات أمنية، وهى تستهدف الشرطة، أو السفارات، أو كمائن الجيش بطريقة غير مباشرة، عن طريق إلقاء بعض العبوات الناسفة فى طريق القوات، أو مباشرة عن طريق بعض الأهداف الانتقائية لإزعاج النظام، مثل استهداف قسم شرطة الشيخ زويد، أو كمين الفرافرة، وعمليات لتخريب الممتلكات والمنشآت، مثل استهداف محولات الكهرباء التى تغذى مدينة الإنتاج الإعلامى، ومحولات الكهرباء، وغيرها، وعمليات الاغتيال، وهى لم تتوسع بشكل كبير حتى اللحظة، إلا أنها حدثت ووقعت فى أكثر من مكان، مثل استهداف ضباط فى سيناء، أو رجال الأمن فى الدلتا، أو حادث النائب العام، على سبيل المثال، وكذلك عمليات الجبهات المفتوحة، التى لم تتم سوى فى محاولة السيطرة على الشيخ زويد، وما حولها من كمائن، وقد فشلت فشلاً ذريعًا.

فى كل هذه الأصناف من العمليات، تم استخدام الأسلحة، أو العبوات، وتمت الاستفادة من استخدام سيارات المسيحيين المسروقة، أو الدراجات النارية، وأسلوب (الإغارة)، والوسائل التى يمكن الاستفادة منها فى الاغتيال، وهى المسدسات، والرشاشات، والبنادق، والمفخخات بالسى فور، والتى إن تى.

المؤكد أن هناك خلايا إرهابية جديدة، موجودة بالفعل، ومعروفة، تضم هواة ومحترفين معا، ومرتزقة، ومغررا بهم، ومحبطين من البيئة المحلية والدولية،

مثل أجناد مصر، وجماعة بيت المقدس، وأنصار الشريعة، المرابطين، وكتائب العنف الإخوانية (العقاب الثورى، المقاومة الشعبية، كتيبة إعدام)، وكتائب العنف العشوائية (الكتيبة السوداء)، والذئاب المنفردة، وكلها جماعات محدودة الأهداف، لا تعمل ولا تقدر على إسقاط النظام الحالى، إنما هى ترغب فقط فى إيذائه أو الانتقام منه.

والعمليات المسلحة مع هذه الكتائب والخلايا، لا تحمل أية رؤية جماعية أو مشاريع عامة لتغيير المجتمع أو إسقاط النظام، كما فعل أعضاء التنظيمات الجهادية فى الثمانينيات أو التسعينات، إلا جماعة بيت المقدس فقط التى تحمل مشروعاً لولاية وإمارة داعشية فى سيناء، فشلت فى تحقيق ١٪ منه حتى اللحظة.

لكن الملاحظ فى آخر عمليات تمت فى الفترة المؤخرة، أنها اعتمدت على تفجير السيارات عن بعد، وكانت التفجيرات عنيفة وشديدة، ولم تكن عمليات انتحارية صريحة، بمعنى وجود (انغماسى) داخل السيارة، وأن الجماعة التى نفذت تلك العمليات لم تعلن مسؤوليتها حتى اللحظة عن أى منها، بدءاً من حادث الكرنك، وحتى الأمن الوطنى بشبرا.

ما سبق يدلل على أن مصر الآن تواجه جماعة جديدة بدأت نشاطها، وأنها تعمل فى خلايا عنقودية لا يتصل أى منها بالباقين، وأفراد هذه الجماعة ليس لديهم أى سجلات أو بيانات لدى الأجهزة الأمنية، وهم يعتمدون على التفجير عن بعد، حتى لا يصل الأمن إلى أى منهم، سواء من الانغماسي، عن طريق dna، أو عن طريق أى دليل آخر، وهى تترك الأمن يضرب (أخماساً فى أسداس) فى هذا المشهد المرتبك، ولا يعرف أى من الجماعات السابقة هو الجانى، بل وتزيد فى ذلك بترك رسالة أو فيديو على صفحات الفيس أو تويتر، أو اليوتيوب، حول إعلان جماعة وهمية مسؤوليتها عن الحادث، ثم سحب الإعلان بعد ساعة فقط، مثل كتيبة التحرير، أو الكتيبة السوداء.. ألخ، وفى

كل الأحوال ، يبقي المرجع عندى أن جماعة قريبة من الإخوان، تلقت تدريباً متقدماً هى من تقوم بمثل هذه العمليات الأخيرة.

obeikan.com